

نماذج من الأئمة والقضاة

- ابن مسروق القاضي:

القاضي ابن مسروق الكندي كان من أشهر قضاة مصر، وقد ولي وظيفة القضاء من ١١٧-١٨٤هـ / ٧٣٥-٨٠٠م.

وقد حرص القاضي ابن مسروق الكندي على إعلاء منزلة القضاة، ورفعة مراكزهم؛ فلم يخضع لسلطة الوالي، ولم يحضر مجلسه كما جرت العادة في عهده بالقضاء، مما أدى إلى عدم حضور القضاة مجالس الحكم بعد ذلك.

ومن الإصلاحات التي نفذها ابن مسروق الكندي اتخاذ قمطراً (درجاً) تودع فيه القضايا، ويختم القمطر بعد وضع القضايا فيه، ثم يفض (يفتح) إذا جلس القاضي ليباشر وظيفته.

- الإمام أبو حنيفة:

هو الفقيه الضليع الكوفي الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، عاش زهاء سبعين عاماً، حيث ولد عام ٨٠هـ / ٦٩٩م، وتوفي عام ١٥٠هـ / ٧٧٢م.

وكان عابداً لله، حيث يقول صاحب (وفيات الأعيان): إنه من كثرة عبادته مكث يصلي الفجر بوضوء العشاء أربعين عاماً. وكان ذكياً ورعاً مع علمه، فلقد رزقه الله الفراسة والقدرة على الاستدلال واستنباط الأحكام حتى قال الإمام الشافعي: «الناس عيال على فقه الإمام أبي حنيفة النعمان».

وكان زاهداً في المناصب الدنيوية حتى إنه رفض تولي القضاء زمن الخليفة العباسي المنصور الذي استدعاه إلى بغداد بعد أن ضربه الوالي على رفضه وظيفة القضاء .

وكان مجتهداً يستمد اجتهاده من الكتاب والسنة الصحيحة . وقد لخص مذهبه في قوله «أخذ بكتاب الله، فما لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ، فما لم أجد أخذت بقول صحابته رضوان الله عليهم دون غيرهم» .

- وكان يأخذ بالقياس ولا يقدمه على النص، ولا يستعمله إلا عند الضرورة، وقد رزقه الله فطنة في استنباط الأحكام حتى لقب (إمام أهل الرأي) . وله كثير من التلاميذ والأتباع في شتى بلاد العالم الإسلامي .

- الإمام أحمد:

هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني .

ولد أحمد بن حنبل عام ١٦٤ هـ . وكان عالماً حافظاً تقياً ورعاً . قيل إنه كان يحفظ أكثر من مائة ألف حديث، فكان محدثاً بارعاً، وفقهاً بارعاً، وقد تحمل كثيراً من الأعباء والشدائد؛ فقد ضرب وعذب وسجن ليقول إن القرآن مخلوق، فأبى وأصر على الرفض .

وكان زاهداً في الدنيا، يأبى الجلوس على شيء غير التراب حتى الحصى، حيث كان يعد الجلوس على غير التراب ترفاً .

وله مذهبه الفقهي الذي تعتمد أحكامه على كتاب الله، وصحيح سنة رسول الله ﷺ. وكان الإمام أحمد لا يعترف بالقياس أو الرأي، ويرى أنهما من البدع، فكان الكتاب والسنة والإجماع مصادر مذهبه.

ومن آثاره (المسند) الذي جمع فيه كثيراً من الأحاديث.

وقد توفي الإمام أحمد عام ٢٤١هـ / ٨٥٥م، ببغداد، وشيع في موكب جنازتي كبير، ويقال: لقد اشترك في جنازته ثمانمائة ألف رجل، وستون ألف امرأة.

وكان هؤلاء العلماء والأئمة المجتهدون أصحاب مذهب الإمام يراعي كل منهم أحوال البلاد التي يفتي فيها وظروف العباد.

– الإمام الشافعي:

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي. ولد بغزة عام ١٥٠هـ / ٧٦٧م.

وهب له الله الذكاء الحاد والفراصة الصائبة، والذاكرة الواعية الحافظة، حتى إنه ليقال: إنه حفظ القرآن وهو ابن خمس سنين.

وقد تلقى ألواناً من العلم، ورحل كثيراً في طلبه، وأجاد اللغة العربية الفصحى لتنقله بين القبائل في بواديها، وكان حجة فيها.

ومن أساتذته الإمام مالك، حفظ موطأه وقرأه عليه، شيخه الزنجي خالد أيضاً، وقد أذن له بالإفتاء وسنه خمس عشرة سنة.

والإمام الشافعي أول من تكلم في أصول الفقه، واستنبط هذا العلم،
وله فقه يجمع بين الرأي والحديث.

وللشافعي زهاء مائة وأربعين مؤلفاً، أشهرها كتاب الأم وكتاب الرسالة
اللذان يجمعان مذهبه الذي ينتشر في كثير من البلاد الإسلامية.

وقد قدم الإمام الشافعي إلى مصر عام ٢٠١هـ، وظل فيها حتى توفي يوم
الجمعة آخر يوم من شهر رجب عام ٢٠٤هـ / ٨١٩م، ودفن بها.

- الإمام مالك:

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي.
ولد عام ٩٣هـ / ٧١١م بالمدينة المنورة، وتوفي بها سنة ١٧٩هـ / ٧٥٩م.
ولم يرض عن الإقامة بالمدينة بدلاً، ولذلك اعتذر عن دعوة بني العباس
له إلى بغداد حاضرة الخلافة العباسية، حتى أنه لقب بإمام دار الهجرة.
وكان يعتز بالمدينة ولم يركب فيها دابة؛ لأنها تضم جسد رسول الله
ﷺ.

والإمام مالك يعد إماماً كبيراً في الحديث الشريف، وله الموطأ الذي يعدُّ
أول كتاب جمع في حديث رسول الله ﷺ، وله أيضاً من الآثار العلمية
كتاب في (تفسير غريب القرآن)، وله (رسالة) في الرد على القدرية
وغيرهم.

والإمام مالك يعتمد على الكتاب والسنة، ثم على أقوال الصحابة، ثم
على الإجماع.

وكان يقدم عمل أهل المدينة؛ لأنهم أبناء أولئك الذين صاحبوا رسول الله ﷺ، وربما اعتمد على القياس والاستحسان والعرف وسد الذرائع والمصالح المرسلة، بشرط ألا تتنافى مع أصل من أصول الشرع الحكيم.

وانتشر مذهب الإمام مالك في كثير من البلاد الإسلامية وخصوصاً في بلاد المغرب العربي.

- القاضي بكار:

لقد نبغ القاضي بكار بن قتيبة في الفقه والعلوم الإسلامية؛ حتى أصبح من أشهر قضاة الأمة الإسلامية في عهده، وأعلمهم بالفقه وعلوم الدين.

وقد عاش القاضي بكار في زمن أحمد بن طولون بمصر، وله مع ابن طولون قصة طريفة ذات مغزى. يحكى أن الموفق قد نكث في عهد البيعة للخليفة العباسي المعتمد، وخرج على حرمة الخلافة. فطلب أحمد بن طولون من القضاة أن يلعنوا الموفق، فأبى القاضي بكار ذلك الطلب، فألح عليه ابن طولون، وأصر القاضي بكار على موقفه، فأغضب ذلك أحمد بن طولون؛ ولا سيما أن القاضي بكار كان لديه معززاً مكرماً معظماً معروفاً له بحقه وقدره.

وكان أحمد بن طولون يجيزه في كل سنة بألف دينار، فلما غضب عليه أرسل إليه يسأل: أين جوائزتي؟

- فقال القاضي بكار: هي على حالها، ثم أحضرها من منزله بخواتيمها (سنة عشر) كيساً لم يفيض أحداً، فقبضها أحمد بن طولون.

- القاضي توبة الحضرمي بن نمر:

ولي القضاء خلال العصر الأموي (١١٥ - ١٢٠هـ). وكان معروفاً بالعدل والاستقامة وكريم الخلق.

والقاضي توبة الحضرمي أول قاض وضع يده على الأحباس (الأوقاف) حتى يحفظها من التوارث والهالك، وجعل لها ديواناً.

وهذه الأحباسُ أموال معينة لا تباع ولا تورث، وإنما تكون غلتها ومنفعتها وقفاً على أشخاص أو أشياء معينة. وبدأت الدولة الإسلامية من عهد الخليفة العادل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تحبس بعض ممتلكات الدولة من أرض زراعية أو غيرها للإنفاق على دور العبادة، والعلم، والعلماء فيما يعرف باسم الأحباس (الأوقاف).

- القاضي غوث:

هو أحد قضاة مصر في العصر العباسي الأول حيث ولي القضاء خلال الفترة (١٥٩-١٧٠هـ / ٧٧٥-٧٨٦م). وقد أدخل القاضي غوث على وظيفة القضاء كثيراً من صنوف الإصلاح التي أبرزها تحريه عن شهادة الزور من قبل الشهود في القضايا، فكان القاضي غوث يسأل عن الشهود سرا، فإذا لم يتأكد من استقامتهم وحسن سمعتهم رفض شهادتهم.

وقد اشتهر القاضي غوث بالعدل والاعتدال فيما أصدره من أحكام.

ومن أشهر ما يروى عنه في هذا المجال أنه سَوَّى بين الخليفة المهدي
وامرأة شكته، إذ ساوى القاضي غوث بين الرجل الذي وكَّله الخليفة عنه
والخصم في مجلس القضاء.

وقد وصف الكندي القاضي غوثاً بقوله: «إنه أعلم الناس بمعاني القضاء
وسياسته».